

سيميائية مقام الهوية في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد

مقاربة تداولية للمقام التلفظي

The semiotic of element of identity in Emir's novel ,the path of iron gates A pragmatic approach to verbal component

د. زحاف حبيب *

جامعة مصطفى اسطنبولي -معسكر (الجزائر).

habib.zehaf@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2022/03/28

تاريخ القبول: 2021/10/06

تاريخ الإرسال: 2021/05/28

ملخص: الرواية خطاب متنوع المستويات اللغوية يتخذ المبدعون مسرحا لهم يمارسون من خلاله ما لا يستطيع الناقد ممارسته في نصوصه النقدية، وبالتالي يطلق الروائي لنفسه العنان فيكتب عن الذي بدا له بالشكل الذي يراه وباللغة التي تناسبه وتناسب المقام ، وقد قيل قديما لكل مقام مقال، انطلاقا من هذه المقدمة ترسم سطور ورقتي البحثية حيث اطارد من خلالها مكان الهوية الحقيقة في نص روائي لا تزال لغته تفضي بالحياة وهو كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لصاحبه واسيني الاعرج، ولقد اتخذت المنهج التداولي اتابع من خلاله مفاتيح الرواية بداية من الاحداث المتنوعة ومرورا بالشخصيات المتداخلة بين الواقع والخيال ووصولاً الى البنيتين الزمنية والمكانية، ولقد اعتمدت في مقاربتني على تحليل المقامات التلفظية وذلك بمحاولة تصنيفها على حسب تمركز الشخصية البطل في الرواية أي الأمير عبد القادر، وعليه كانت استعائتي بكتاب متخصصين في هذا الميدان مثل عبد الواسع الحميري ومن المفكرين طه عبد الرحمن، من المبدعين في الإنتاج الروائي واسيني الاعرج، ومن ثم اتبعت مقاربة نقدية من خلال ما وقع عليه اطلاعي المتواضع على البعض منهم، وحاولت ان أكون في مقالي هذا مقاربا لمأخذ الهوية في جانبها التساؤلي لا المعرفي، وبالتالي كان هذا السبب الركن في اختيار التداولية المحضة ضمن فرعها المقامي أو السياقي بالمصطلح الآن الحديث كي افكك مقاليد بناء الهوية ضمن معمار نص كتاب الأمير المنتهي للرواية التاريخية حيث تتطلب هذه الاخيرة الحضور الحداثي للتاريخ أكثر من الحضور الروائي لأجل إفساح المجال واسعا للقارئ لتفكيك مسارات الاحداث ذات المحمول الحداثي المتداخل بين التاريخي والتخييلي. الكلمات المفتاحية: التداولية، المقام التاريخي، التخييلي، الهوية اللغوية، التلفظ.

ABSTRACT : The novel is a discourse of various linguistic levels, which the creators make as a stage for them to practice through which the critic cannot practice in his critical texts, and thus the novelist gives himself free rein and writes about what appeared to him, Based on this introduction, my research are drawn up, through which I chase the identity in a narrative text whose language is still conducive to life, which is the book of the Prince, by Wasseni Al-Araj. And it took the pragmatic approach as an application to study Personalities's characters of the

novel wish is mixed between reality and fiction, and I have adopted in my approach the analysis of verbal positions and that by trying to classify them according to the position of the protagonist character in the novel, as I used critics specialized in this field and as Abd al-Wasi 'al-Hamiri and among Taha Abd al-Rahman, and who have waseni al-Araj, and I have followed an approach that I do not doubt is serious through what has fallen It has my eyes on some important critical readings. I tried to be in this article more impersonating than me to an ordinary article, and therefore this was the cornerstone of choosing purely pragmatic or contextual side with the modern simultaneous terminology in order to dismantle the reins of the identity construction. In an indefinite conclusion, we say that the nature of the historical novel requires the modern presence of history more than the fictional presence on the one hand, and it requires the withdrawal of the creator's voice from the narrative arena in order to make room for the reader to deconstruct the paths of events that have a modernist component mixed between the historical and the imaginary.

Keywords: *Pragmatic approach; historical context ; imaginary ; Linguistic identi ; Enunciations.*

1. مقدمة:

تماشياً مع الخصوصية النظرية التي يتميز بها المقال، فإنه من اللازم تحديد أسس الأرضية التي سيتموضع عليها تحليل مأخذ الهوية في العناصر التطبيقية اللاحقة، وكبداية فإن الحديث عن مسألة الهوية يمتاز بالتشعب لأنها اتخذت في التاريخ الإنساني مسارات مختلفة، ونظر إليها الفكر الإنساني على أنها الروح التي تسري في جسد الوجود الإنساني وعلى أنها الوقود الذي يتحكم في حركية المجتمع، من أجل ذلك تشعبت الدلالات التي حملتها، إذ إنها خضعت مثل باقي الظواهر الإنسانية إلى فاعلية التغيير بمفهوم طرح ما هو زائد و كذا الإفادة من السياق الخارجي إذا كان لهذا الأخير إمكانية الإضافة النوعية، وبناء عليه سنتطرق إلى التنقيب عن مكان الهوية المتأرجحة بين الموضوعي والمجازي والخاضعة كذلك لفاعلية التغيير، وذلك بعد تحديد المرجعيات الفكرية التي تستند عليها انطلاقاً من النص الروائي الذي انتقيناها، ولسوف يجد القارئ تناولاً لمسألة الآخرة التي تعتبر الظل لمسألة الهوية، لأننا وجدنا الكتابات التي تتناول مسألة الهوية لا تستطيع إغفال جانب الآخرة، على أساس أن التحديد في كليهما يتم عبر رسم أرضية تلاقح بينهما، فقد تكون ذات طبيعة تكاملية أو غير ذلك كما سيرد في لاحق المقال.

2. فلسفة الهوية في الرواية:

إن مسألة الهوية أخذت من الكتابات الفكرية حظاً كبيراً و باتت تحديدها ينطرح بشدة ضمن النصوص الحديثة والمعاصرة⁽¹⁾ إذ يعود ذلك لعوامل عديدة أهمها ارتباط المسألة بفكرة الوجود من جهة وتعدد مفهوم الهوية من جهة أخرى فهو: "ذو دلالة لغوية و فلسفية و اجتماعية و ثقافية"⁽²⁾، وبالتالي تبدو مسألة ترسيم المعايير التي تحدد لنا أنماط الهوية من الصعوبة بمكان لأن التقسيمات التي لجأت إليها الكتابات النقدية لهذه المسألة ركزت أكثر على الخصائص الثانوية أكثر من تركيزها على العناصر الجوهرية التي تحدد الهوية ذاتها، فتناولت على سبيل المثال خضوع المسألة لفاعلية التغيير التي تتحكم في الظواهر الطبيعية، وكذلك خضوعها لفاعلية النمو الاكتمالي عبر التاريخ، ومن ثم

سيدور الحديث على الأركان التي تؤسس قوام الهوية وأهمها اللغة والدين وكذا الوطن والتاريخ، إذ تكون هذه الأخيرة بمجموعها حمولة فكرية تتداخل عبرها المفاهيم في شكل تكاملي وبالتالي لا نستطيع أن نفصل العنصر عن الآخر لأن بناء الهوية يتطلب الأركان المذكورة، ولكن ما ينبغي الإشارة إليه هو التصنيف الذي تخضع له هذه العناصر من حيث أولويتها التشاركية في بناء الهوية.

حينما ينظر الإنسان إلى العناصر المذكورة أعلاه يجد نفسه في خيار حتمي يفرض عليه وضع ترتيب تصنيفي لها على حسب الأولويات، إذ بموجب هذا الترتيب يتسنى له المضي نحو رسم برنامج العمل الذي ينبغي من ورائه التشكيل والتكوين لهويته، و عليه فإن: "التاريخ يشكل في العناصر أعلاه حَجَر الزاوية التي تمتد العناصر الأخرى بالمعين الذي يجعلها تنتقل من الوجود الإمكانى لتتملك الوجود الحقيقي"⁽³⁾، ذلك لأن التاريخ هو الفضاء المميز والوحيد على حمل أمانة ذاكرة الشعوب التي تعيش من أجلها وبها وعليه: "فالمجتمع الذي لا يملك تاريخاً لا يملك ذاكرة يستمد منها وجوده، والتفريط فيه معناه تعرض المجتمع إلى ما يسمى بالعمى الحضاري"⁽⁴⁾، ويُعبر التاريخ عن هوية الشعب بالاعتماد على الصرامة اللغوية المتخذة من طرف المؤرخ في كتابة الأحداث الموضوعية، وللإشارة فالتاريخ الذي نتحدث عنه هو الحقيقي وليس الذي عبثت به الأهواء الإيديولوجية، لأجل ذلك تأتي الرواية بوصفها جنساً أدبياً إنسانياً لتساهم في إظهار المسكوت عنه من التاريخ بالاعتماد على تكريس الالتقاء بين اللغة التاريخية المباشرة واللغة الحكائية التخيلية، ويُولد هذا الالتقاء شكلاً آخر من اللغة يتداخل من خلالها السرد الروائي بجملة من الخيالات التي تحقق بدورها للقارئ المتعة القرائية والإفادة المعرفية، وهذا ما عملت الموجة التجريبية للرواية على تكريسه وعليه: "فالتاريخ والرواية يمثلان مصدرين أولهما للإفادة من الحقيقة وثنانها للترفيه والتسلية"⁽⁵⁾، ويصير التاريخ بذلك يمثل الظهر الذي تستند عليه الشعوب في تكوين وجودها وهويتها وكيونيتها، كما نجد أن كلا من المؤرخ والروائي يعملان على تكريس خصوصيات جنسهما على الكتابة، فالأول يعمل على إفراغ مواصفات الموضوعية على لغته بفرض سلطة معينة على القارئ، أما الرواية فتفتح أمامه كل الاحتمالات متناولة تاريخ الاغتراب الإنساني المظلم في الزمن، أما الشخصية في الكتابة التاريخية تبقى على حالها، ويتحتم على المؤرخ في بعض الأحيان أن ينسب إليها بعض الوقائع المتخيلة خدمة لأديولوجيا معينة، أما الرواية فالعكس من ذلك إنها تنسب الوقائع الحقيقية إلى شخصيات مُتَخَيَّلَة وشتان بين الأمرين، وهي بذلك تعمل على رصد التداعي المتسع الذي يغض الطرف عنه المؤرخ، ثم إن الروائي يوضع التاريخ الحقيقي في الحاضر المعيش أما المؤرخ فيسردها على أنها الماضي الذي انقضى، وبالتالي يحاول الخطاب الروائي تغذية مجالين مغايرين في القارئ فالأول يتمثل في تشكل المتعة اما الثاني فيتمثل في تشكل الموقف التأثري دائماً في القارئ ذاته.

إن الكتابة ضمن مقاربة الهوية في النصوص السردية تضعنا ضمن حتمية تناول دراسة الأخيرة التي تعتبر المقابل الموضوعي للذات، ولقد جاء في تعريف لالاند للآخر على أنه النقيض للذات⁽⁶⁾،

وبالتالي يرتسم توجه خطاب الهوية نحو البحث عن محددات الأنا و النحن و الهم⁽⁷⁾ ضمن ثنائية المكان والزمان اللذين احتويا الإنسان الساعي إلى التعرف على ذاته وهويته من خلال الإنتاج الثقافي للمجتمع الذي يُكن الانتماء له، ويحمل بذلك خطاب الهوية مفهوما تجميعيا: "للعلامات الدالة و الشعارات المعبرة عن كل الذات إقصاء وتحييدا والدخول تبعا لذلك في دائرة الصراع تغيرا فاعترافا"⁽⁸⁾، ومن ثم حاول هذا الإنسان تكوين هويته عبر طرق كثيرة أبرزها الكتابة بمختلف أشكالها ولا سيما الكتابة السردية التي تمثلها الرواية أحسن تمثيل، فمن نص زينب الى عصفور من الشرق للحكيم فأديب لطفه حسن ثم قنديل ام هشام ليحي حقي ووصولاً الى البقية، كلها حاولت تسجيل مساهمة الذات العربية لمكابدات التاريخ.. تواصلت الكتابة الروائية متناولة هذا الجانب بداية من الرواية التقليدية التي حاولت أن تعيد إنتاج الوعي السائد في فترة زمنية ماضية، ثم تلت الرواية الحديثة و التي حاول أصحابها أن يشكلوا تصميما يجسدون من ورائه رؤية متماز بالوثوقية في نظرتها إلى العالم، حاملة معها مبدأ الإيهام بواقعية العالم الفني الذي يصف من ورائه الروائي تفاصيل جزئيات الحياة التي تعيشها الشخصيات في أشكالها البسيطة، ثم تأتي المرحلة الثالثة التي تعبر عن النضج الفني الذي أنتج رؤية مخالفة لكل ما هو سائد وتعتبر كذلك عن اللايقينية في العالم⁽⁹⁾، وتتموضع الكتابة في هذه الورقة البحثية ضمن هذه المرحلة لأن رواية كتاب الأمير تنتهي إليها بحكم توفرها على العديد من خصائص الرواية الجديدة حيث ترسم التعالق بين المتخيل و الواقعي من جهة، وبين الأدب والواقع من جهة أخرى⁽¹⁰⁾ بقصد إيجاد السبيل الذي يعيد للذات وجودها.

1.2. هوية العمل الأدبي:

تحدد هوية العمل الأدبي من خلال المعالجة اللغوية للتييمات المشكلة للعناصر المتواجدة في السياق الاجتماعي، والذي ينتهي إليه الأديب بفعل حتمي، وبالتالي لا يستطيع المبدع أن يخرج عن هذا السياق الذي يعبر عن أصوله التكوينية، وتقف على رأس هذه الأخيرة مسألة الهوية أو الكينونة، إذ يملك الروائي العربي ضمن هذا الطرح خيارات متعددة يستقيها من حفريات التراث المكتنز بتنوع نسقي سردي، فتسعه في إغناء الجانب الإبداعي، وتعتبر الرواية الجديدة إحدى الأنماط المهمة المنتمية إلى هذا النوع من الكتابة التي تتخذ انساق التراث السردي مرجعا تنهل منه لتثري برامجها السردية، ويشير هاهنا بول ريكور إلى المسألة بقوله: "التراثية هي المفتاح لتشغيل النماذج السردية، وبالتالي لتحديد هويتها"⁽¹¹⁾، وعليه تعمل الرواية الجديدة على تبوء مكانة ضمن موجة صيحة التجريب ساعية للبحث عن العنصر الجوهرية الذي يخرجها إلى عالم القراءة في شكلها الفني، وذلك بالاعتماد على تفعيل آلية اللغة في الرواية من حيث محاولة إقحام بصمات المبدع ومن خلال تفكيك الموروث السردي الذي هو عبارة عن تخيلات سردية أنتجت لنا منظومة رمزية محكمة من القيم والآداب، وظلت هذه تستجيب لتخيلاتها وليس لواقعها⁽¹²⁾، وعلى هذا الأساس يشكل الأعرج خطاب كتاب الأمير مكرسا من خلاله النصية الإبداعية التي تؤدي دور الوساطة بين الإنسان والعالم⁽¹³⁾، وتصبح الرواية حاملة بذلك لرؤية مفادها اعتبار الهوية: "صورة مجازية لا جوهر ثابتا"⁽¹⁴⁾، ومن ثم يُعنى الخطاب الروائي قيد البحث

بتفتيت البنية الصنمية- العمياء- للتاريخ التي عمل على إنشائها المؤرخون- المدعون للصرامة- ويؤرخ لجملة من التقلبات والانهيئات والانقسامات السرية والمطمورة⁽¹⁵⁾، ويتوسل الروائي في سبيل تحقيق هذا الأمر لغة العلامة التي تؤدي دور الربط الوهمي بين هلامية المتخيل وتعينية الواقع ومرد ذلك أن: "معرفة الواقع تتطلب معرفة اللغة لأن اللغة دون مرجعية واقعية تظل صورية.. والواقع دون مرجعية من لغة التخاطب يظل أخرسا وعاجزا"⁽¹⁶⁾، وإذا كان الواقع يشكل تعالقا مع اللغة فإن هذه الأخيرة تعمل على إبراز عناصر الهوية التي تتجلى في الجانب الوظيفي⁽¹⁷⁾ أكثر، وينتج عن هذا التداخل بين الواقع والهوية واللغة ما سماه أحد دارسي مسائل الانتماء بالهوية اللغوية⁽¹⁸⁾ إذ يكاد يدور تحليلنا لنص كتاب الأمير حول هذا الطرح، نظرا لاهتمام المنهج التداولي بتحليل التفاعل التخاطبي بين بني البشر وبالتالي فإن: "ارتباط عملية الهوية اللغوية ارتباطا وثيقا بالتفاعل اللغوي بين الناس يجعل منها على ما يبدو، نوعا متفرعا من التواصل"⁽¹⁹⁾، وعليه ينبغي أن نضع في الحسبان أن الأمر يصل إلى أبعد الحدود، إذ إن ممارسة اللغة والتعامل بها سواء في المجال الكتابي أو الشفهي يفرض على المتلقي نوعا من التقمص القسري لما تحمله هذه اللغة من دلالات وتمثيلات في الواقع، وينتقل هذا التقمص إلى الإبداع: "فليست اللغة في الأدب مجرد تشكل أو قالب... بل هي جوهر الإدراك نفسه، ومن ثم فهي التي تصوغ هوية العمل الأدبي"⁽²⁰⁾، ويذهب محمد مفتاح إلى أبعد من ذلك عن تعامل المتلقي للنص الإبداعي، فيجعله هو صاحب تحديد الهوية انطلاقا من توفره على السليقة التي تزود بها من الطبيعة والمجتمع⁽²¹⁾، وينبغي الإشارة هنا إلى نقطة مركزية في النصوص الروائية تتمثل في الصعوبة التي يلاقها الروائي في كتابة النص، وبخاصة إذا كان نمط النص يمتح من التاريخ الموضوعي للإنسان، مثل النص المتناول في هذا المقال، وتتمثل هذه الصعوبة في إيجاد الأرضية التي يبيت من خلالها الروائي قناعاته، وكذا قناعات الشخصيات التي تشغل المراكز في الرواية، على أساس وجود الفروق بين مقصدية المؤلف ومقصدية النص⁽²²⁾، وبالتالي يضع جون جوزيف John Joseph عملية تشكل الهوية في المجتمع الإنساني ضمن المرتبة الثالثة من وظائف اللغة بعد التواصل والتمثل معللا هذا الطرح بحديثه عن الحضور الذي يحققه الناس من خلال ممارستهم للغتهم الأم رابطا إياها بتكوين الهوية في أشكال اللغة بقوله: "إنهم حاضرون- الناس على اختلافهم- دوما في ما يقولون وفي الفهم الذي يبنيه على ما يقولون، إن هويتهم تتأصل في صوتهم ويكون ذلك ملفوظا أو مكتوبا، أو موقعا signed"⁽²³⁾، ولقد حدد الكاتب هذه الحالات الثلاث لأجل الدلالة على إظهار الفضاء التي تثبت من خلاله اللغة حيويتها وحركيتها، وذلك ضمن الملابس السياقية التي أنشأت فيها ألفاظ الحوار بشقية الداخلي والخارجي، وبالتالي تنطرح في هذا الصدد مسألة تحليل لغة كتاب الأمير في مرحلتها التلفظية، ولكن معرفة هذه الأخيرة يتطلب: "الكشف عن طبيعة العلاقة المتأينة أو المتزامنة (القائمة بالفعل) بين المتلفظ وملفوظاته من جهة، وبين الكائن المتلفظ وملفوظاته، والمتلفظ فيه (مقام التلفظ وسياقه)، والمتلفظ له ولأجله (مقصدية التلفظ والغاية النهائية منه)، والمتلفظ إليه (المخاطب أو السامع الفعلي أو الضمني)"⁽²⁴⁾، ويبدو من خلال المقولة السابقة أن مركز الاهتمام في كل ما ذكره الذات الفاعلة

التي تؤدي دور المحرك لخيوط البرامج السردية، وبالتالي منح الروائي هذا الدور لشخصية الأمير التي استطاعت أن تتمظهره في الحياة السردية في شكل تفاعلات مختلفة، هذه التفاعلات هي التي شكلت قسما الهوية التي أراد الأمير أن يظهرها في التاريخ الفعلي وحاول السرد التخيلي إظهارها على هذا النحو، وبالتالي جاء خروج كتاب الأمير إلى عالم التلقي والقراءة عبر عملية امتزج من خلالها السرد التاريخي مع السرد الروائي الخاضع لنظام الراوي، ولقد توسلت الكتابة الروائية في هذا الشأن اللغة بأنماطها المتعددة سواء الفصيحة المكتوبة في رسائل الأمير وضمن المحاورات التي كان يعقدها مع بقية الشخصيات على الساحة الورقية، أو من النمط الدارج الذي كان يتعامل به أفراد ذلك الزمن، أو حتى باللسان الفرنسي الذي شكّل مساحة ضئيلة جدا، ولقد شكل الروائي هذا التلون اللغوي النمطي مستعينا بما اطلع عليه من التاريخ الفعلي للأمير عبد القادر مجليا أن: "العودة إلى تاريخ وطني محدد هو بمثابة تصريح بهوية بعيدة قادرة على التحدي والبقاء"⁽²⁵⁾.

2.2. ايقونة الهوية اللغوية في رواية الأمير:

إن مدار الحديث حول الهوية اللغوية⁽²⁶⁾ التي نعتبرها منطلق تأسيس الهوية في نص كتاب الأمير يركز على تراكمات فكرية تراثية لغوية نجد لها حضورا في الرواية، ونجد لمصطلح الهوية اللغوية نظائر عند النقاد العرب المستلهمين للإنتاج الكتابي الغربي، فقد دعاه عبد السلام أقليمون بالهوية الحكائية⁽²⁷⁾، على أساس أن هذه الأخيرة تتجسد ضمن لغة الحكاية التي نجدها ضمن النصوص الروائية لا سيما الروايات التاريخية، ويكتشف القارئ آثار التراث المتناس الفكرية في نص كتاب الأمير في توظيف الروائي لأحاديث التوحيد ضمن الخطابات السردية على هيئة الشخصية الغائبة عن الأحداث والحاضرة فيها بالاسم، ولقد مثلت هذه الشخصية مكونا من مكونات المرجعية الفكرية التي كان الأمير ينتهي إليها مع مَنْ كانوا يمثلون نموذج آنذاك، و عليه اتخذ الأمير هذه المرجعية بوصفها تضمنا وفعلا معرفيا يستند إليهما مستمدا منهما الدلالات التي يبثها في ملفوظاته، كي يتسنى له مسيرة بناء الذات على قدر ما استجد من الأحداث، فكان عبد القادر كلما رأى أن الطرق تُسد أمامه يلجأ إلى كتبه التي ترافقه في الحل والترحال، ويسجل الروائي ذلك على لسان الأمير ما مفاده: "لدي إحساس كأنني دفنت عزيزا على القلب... سأرتاح قليلا مع التوحيد"⁽²⁸⁾، قالها الأمير بعد أن أحس بأن الوقت الذي كان في حاجة إليه لإتمام التجديد في البنية التحتية للدولة الجديدة التي عاصمتها معسكر قد زال من الوجود الروائي وكذا الواقعي، و يقصد بالعزير الذي فقدته معاهدة دوميشال Desmichels التي كان الأمير يتمنى أن تمتد مدتها كي يستغل العشر السنين المتفق عليها⁽²⁹⁾ في بناء التشكيل المتجدد للمجتمع الجزائري كي يمتلك مصدرا من مصادر القوة.

حاول الروائي تطويع اللغة بألفاظها ودلالاتها وعلاماتها لأجل احتواء الواقع بأحداثه الموضوعية السنكرونية، إذ توسل هذا التطويع في توزيع الأدوار على الذات الأميرية التي تشكل مركز السرد الحديث، وعمل السارد كذلك على متابعة هذه الأدوار ضمن الحياة الورقية كي يجعل القارئ مشاركا في

معاينة ما مارسه الأحداث المؤلمة في أكثرها والسارة في أقلها على شخصية الأمير، الشيء الذي كان يؤدي بها إلى الإحساس بنوع من الانقسام النفسي المفروض عليها بصفة طوعية، ولقد أشار ميشال فوكو Michel Foucault إلى هذه المسألة من خلال رسم العلاقة بين العبارة اللغوية والذات التي تقوم بالفعل من خلال اعتبار الذات على أنها موضع، أو عبارة عن موضع مكان يتغير تبعاً لنوعية العبارة وعتبتها، والمؤلف ذاته ليس سوى موقع من تلك المواقع الممكنة... لذلك فمن الممكن أن يكون للعبارة الواحدة نفسها عدة مواقع⁽³⁰⁾، وهذه المواقع لا تعني عدم الثبات على الموقف الصائب الذي يمثل العقلانية في التدبير الحياتي، بل هي من قبيل فقه شخصية الأمير لما رآته من إفرازات التحضر عند الآخر، ولقد تمظهر هذا التبدل عبر مواقع أشكال التعدد السياقي في الرواية.

تَبَدَّى من خلال الحديث عن هوية العمل الأدبي قضية الصراع القائم بين طرفي معادلة الهوية في النص الأدبي، إذ يمثل الطرف الأول المبدع ذاته صاحب ملكية النص الأدبي المتحكم في تشكيل آليته بحيث يمارس عليه عملية انتقاء الألفاظ والتراكيب التي يريدها أن تُظهر الدلالات القابضة في فضاء مقصديته، على أساس أن اللغة تمثل شكلاً من أشكال التصرفات الإنسانية المقصودة والموجهة بطرق اجتهادية من ذاتية المتكلم⁽³¹⁾، أما الطرف الثاني فيتمثل في الذات الممارسة لعملية التلفظ في الرواية، ولكن هل استطاع الروائي تكريس التجانس بين الطرفين في الحياة السردية وبخاصة إذا علمنا أن الأمر متعلق بمسألة الهوية التي تعتبر عنصراً حتمياً للظهور لأنه لصيق بالفرد؟ للإجابة عن هذا التساؤل ينبغي الإشارة إلى التباين بين الذات المتلفظة وكذا المبدع صاحب النص و كلاهما يستمدان فاعليتهما مما اصطلح عليه بالوسط المؤسسي⁽³²⁾ الجامع لمنظومة آراء مجتمع ما نحوقضايا العالم، والتي للفرد الحق في الاستعانة بها في تأسيس محاوراته وإظهارها، ومن ثم نجد حسن خمري يلخص الطرح بقوله: "ومهما اختلفت الأفكار وتضاربت الآراء حول شكل الذات المتلفظة، وهوية المؤلف المبدع، تظل العلاقة الحميمية بين صور هذين الفاعلين المتبادلة دوماً قائمة في مرآة ملفوظ الخطاب الأدبي العميقة حاضرة في نسيج الدلالة الثقافية"⁽³³⁾. إن القارئ لنص كتاب الأمير يتلمس من خلال متابعة برامج السرد التغيب الذي مارسه مؤلف الرواية على الذات الأصلية التي يظهر بها الروائيون في نصوصهم، حيث لا يفتأ راوٍ على إتمام سرده للأحداث حتى يتسلم آخر مفاتيح مهمة الرواية وقد يطول سرد الراوي لفترة طويلة من الحياة الورقية كما حدث للخادم جون موبى الذي تحمل سرد وقفات بكاملها⁽³⁴⁾، ويُعد التغيب الذاتي الذي مارسه واسيني تقنية اجتهادية روائية حاول إنزالها على نص الرواية تحت ظل فسحة الحرية التي تتيحها الرواية التجريبية بحيث يتم تغيب الذات المضطلة بالتأليف في الأسيقة السردية. إن طبيعة الرواية التاريخية تتطلب الحضور الحداثي للتاريخ أكثر من الحضور الروائي الشيء الذي يفسح المجال واسعا للقارئ لتفكيك مسارات الأحداث ذات المحمول الحداثي المتداخل بين التاريخي والتخييلي، مع العلم أن التدخل الذي يسجله الروائي في نصه يظل قليلاً، ولكن بشكل فعال انطلاقاً من أن: "الأدب لا يصف الواقع بل يكشف عن العلاقات التي تحكم الواقع"⁽³⁵⁾، وبالتالي التاريخ الذي تنقله لغة الرواية عن مسيرة الأمير كان ذات يوم واقعاً عايشته

الشخصيات التي صنعت الأحداث إذ ما يزال هذا التاريخ محافظاً على واقعيته وحقيقته لأن هذه الأخيرة تعمل دائماً على إبطال مفعول قانون التقادم الزمني، وعليه فالتاريخ يمثل: "سؤالا داخليا في الرواية العربية، وهو-ذاته- سؤال الهوية الذاتية الثقافية المأزومة والمشحونة بمخلفات الأحداث الأليمة"⁽³⁶⁾، ومن هنا نجد أن الرواية التاريخية تعمل على الكشف عن هذه المخلفات بتحمل مهمة إحياء الأحداث متوسلةً طريقَ وصفِ تعقد حالات الوعي الذاتية للشخصيات وهي في إطار مواجهة المشاكل التي تتجاوز قدرتها، ولا تملك عليها سيطرة ولكنها تتحمل آثارها⁽³⁷⁾.

يعكس لنا الحضور المتجدد لأيقونة الهوية في الرواية الأهمية التي استلها شخصية الأمير من خلال التفاعلات الحوارية مع بقية الشخصيات ذات الصلة العاملية، فاكسبها هذا صفة الشخصية النامية المسيرة لنمو الأحداث السردية عبر السياق التخيلي والخطاب التاريخي، وقد حمل الروائي هذه الشخصية مسؤولية تمثيل الهوية الطبيعية لسياق ثقافي واجتماعي ينتمي تاريخيا الى الجزائر، وذلك بتطعيمها بمكونات دلالية فعالة انعكست جماليا على الملفوظات السردية الصادرة عنها، فنقرا في المقطع السردى الآتي: "أحرق-أي جيش الاحتلال- القرآن والانجيل و التوراة، احرق ابن خلدون و ابن عربي و كتاب عن نابليون ترجمه بن تهمامي.. يحدث معي ان ابكي على كتاب أكثر من بكائي على أعزائي...فهم في الجنة والمخطوطات اندثرت" ينم الملفوظ السردى المذكور عن امتلاك الأمير لمرجعية ثقافية توصف بانها أكبر من الإنسان ذاته، إذ كان سبب ذرفه للدموع من اجل الكتاب أكثر على أعزائه وهذا من باب إن الكتاب يمثل سجلا أميناً يحفظ للإنسانية تاريخها وهويتها. ومن ثم تلونت هذه الشخصية بصفة النموذج الذي يتمثل فيه القارئ حقيقة الهوية/الانتماء التاريخي الذي تَشَكَّل ضمن مقام التلفظ و المُعَبَّر عن: "إطار سوسيوثقافي حضاري من شأنه أنه يحوي أو يحتوي أو ينظم وينتظم، ينظم أحوالنا نحن -المتلفظين-وتنتظم خلاله علاقاتنا بعضها ببعض، ويصوغ تفكيرنا، بطريقة تلائم انتمائنا...ويسهم في ترسيخ انتمائنا العضوي"⁽³⁸⁾.

3. تجلي الهوية عبر الفضاء المقامي لأحداث رواية الأمير:

اعتمد التداوليون في تحليلاتهم للنصوص الأدبية على النظر في مسائل اللغة بِعَدِّها السبيل الذي يوصلنا إلى التعبير القريب من الحقيقة الواقعية، لأن اللغة عبر شكلها التخاطبي ضمن الحياة اليومية هي ذاتها اللغة التي يحاول الأديب أن يكتب بها معتمدا على الدلالات التي يبثها أهل التجربة فيها، وهذا الذي يجعلها تعبر عن جماليات معانها داخل التشكيلات السياقية المتنوعة، وعليه تأخذ التداولية هذه المسألة بعين الاهتمام بحيث تدرس اللغة في الاستعمال بمثابته المُشَكِّل للمساحة الفعلية للغة متبوعة آثار دلالاته المتغيرة ضمن تباين المقامات وتنوع ملابسات الظروف التي يصنعها المتخاطبون، ويصنف طه عبد الرحمان عنصر السياق المرادف للمقام ضمن التداوليات الدلالية بحيث يشكل هذا العنصر الفرق البسيط في التنظير بين هذا الفرع من التداوليات وبين الدلالات الصرفة المعهودة⁽³⁹⁾.

تشكلت ضمن رواية كتاب الأمير مقامات مختلفة صاغتها لغة الروائي بمشاركة الشخصيات المختلفة حيث كان الأمير في الرواية بمثابة الحادي- اسم فاعل من حدا يحدو أي قاد يقود-الذي انقادت إليه برامج السرد المتداخلة في عملية تشاركية للشخص فيها، ولقد حددت هذه الشخصية لنفسها منذ البداية مسارات ترصد عبرها المخاطب بأشكاله المختلفة، وتبدي على إثر ذلك المواقف المناسبة متوسلة الإمكانيات اللغوية التي تنطرح في الذهن من خلال صراع الدلالات، ولذلك اختارت هذه الشخصية أن تجعل من راهتها واقعا قرائيا تؤسس من خلاله التحديدات العامة لهويتها، ومن ثم يعمل نص كتاب الأمير على ترجمتها عبر النشاط اللغوي بالمستويات المختلفة على قدر الشخصية المتحاورة داخل الفضاء الروائي لأنه: «باللغة يظهر الكائن المتكلم ما هو، وبها يتأسس وجوده ووجود الأشياء»⁽⁴⁰⁾، ولإدراك هذه المسألة ارتأينا أن نخوض مغامرة تحليلية تتعلق بمقاربة المقامات المتنوعة التي ارتسمت ضمن الأحداث الروائية تناسبا مع طبيعة السير الحداثي الذي صنعتته الوقفات/المقامات ذات المنحى الصوفي في الرواية⁽⁴¹⁾ التي من بينها: التوبة، والورع، والزهد، الصبر، ...⁽⁴²⁾ ونجد لهذه المقامات حضور في تمظهرات شخصية الأمير ضمن الرواية، ولا غرابة حينما تم إدراج لفظ "المسالك" من طرف الروائي في نصه ليضعه فرعاً سفلية ضمن عتبة العنوان، إذ إن شخصية الأمير تمثلت بنفس المظهر الذي كانت عليه في واقعها الفعلي، الشيء الذي أدى بمؤسس النص الروائي إلى تكريس ذلك، وباتت أقسام الرواية تنتقل من وقفة إلى أخرى على أساس أن السائر بين هذه الوقفات يسمى السالك عند أهل الصوفية، ولا يستطيع هذا السالك أن ينتقل من مقام إلى آخر حتى يستنفذ مستلزمات المقام الذي كان حالاً فيه⁽⁴³⁾، هذا شأن الأمير عبد القادر الذي عكس دور المريد السالك، ومن ثم توسل الروائي المقام اللغوي مجسداً إياه في التخاطبات المختلفة ضمن البرامج السردية، انطلاقاً من أن: "حالة الإنسان في اللغة حالة متفردة"⁽⁴⁴⁾ كما عبر عنها إميل بنيفيست Emil Benveniste.

1.3. استدعاء حفريات الهوية عبر تاريخية الأسيقة:

لقد انطلقنا في ترتيب عناصر هذا المسار من فرضية الاهتمام المنصب من طرف التداولين على تحليل السياق للوصول إلى تأويل قريب من الحقيقة للملفوظات⁽⁴⁵⁾ إذ يشير عبد الواسع الحميري في هذا الإطار إلى وجود أنظمة ثلاث من التفاعل/التواصل السوسيوثقافي، وتعتبر هذه الأنظمة على مقامات ثلاث كذلك أرى أنها ذات علاقة بطرحنا، وهي على سبيل الاختصار المفيد: المقام الأول يحتوي على موضع لإقامة المتلفظ وسقوطه في عالم ما يتلفظ عنه، أما المقام الثاني فهو عبارة عن موضع لإقامة المتلفظ ومقاومته، والثالث فهو عبارة عن موضع لإقامة المتلفظ وقوامته أو قيوميته⁽⁴⁶⁾، وضمن نص كتاب الأمير توزعت هذه المقامات الثلاث على البرامج السردية متخذة مصطلح الوقفة للتدعيم الدلالي وهو مصطلح يناظر عنصر المقام، وعليه أوكل الروائي مهمة إثبات عنصر الهوية ضمن هذه المقامات إلى الشخصيات التي تشكل المعامل المرتفع la coefficient في معادلة الصراع الحضاري الذي تحددت جوانبه ضمن أحداث الرواية، ونقصد بها الأمير من جهة والأسقف ديبوش

seigneur depush من جهة أخرى، أما ما بقي من الشخصيات فكلها تابعة للصوتين الرئيسيين في الرواية، مع بعض التفاوت في مواقف التطرف أو الاعتدال، وقبل الخوض في تدوين تفاصيل التحليل المقامي نود من خلال معاينة الرواية تسجيل ثلاث ملاحظات ستظهر أهميتها من خلال التحليل التطبيقي في لاحق البحث وهي:

1- الهندسة المقامية التي شكلها الروائي كانت مواتية إلى حد بعيد مع ما جرى من أحداث في ماضي التاريخ الفعلي لمقاومة الأمير لفرنسا، مع تسجيل بعض التجاوز والتدخل من طرف الروائي مستعينا بمساحة التخيل التي ترغبم التاريخ على إخراج القراءات المسكوت عنها.

2- لم يكن الانتصار دائما يرافق الأمير بمثابته صاحب القضية العادلة، بل كانت ترافقه كذلك الهزائم التي تَعَوّد عليها أثناء سير أحداث السرد الروائي، ومن خلال ثنائية النصر والهزيمة كانت تتكون عملية وعي العالم الجديد الآتي من وراء البحار على متن السفن الفرنسية، إذ تشكلت كذلك معها عناصر أخرى غدّت مساحة الهوية.

3- لقد تم إدراج ضمن التحليل التداولي عناصر من سيميائية الكلام نظرا للتقارب النظري بين البابين، إذ يتم التركيز ضمن هذه السيميائية على تناول الملفوظ كأثر للتلفظ وليس كذات ماقبل-خطابية pré-discursif، وتهتم أكثر بالإنجازية التي تعمل على تخطيب المشاعر عبر تشخيصها في شكل مُعينات وجهات و كذا أفعال كلام⁽⁴⁷⁾، والذي دفعنا أكثر إلى الاستعانة بهذا النوع من السيميائيات هو اعتمادها في التحليل على دراسة السبيل الذي يسلكه الملفوظ انطلاقا من تَكُونِهِ ضمن دخيلة المتكلم، ومرورا عبر خضم الظروف المحيطة به ووصولاً إلى مساحة المخاطب، وبالتالي محاولة إلحاق التأثير به كي تظهر بعد ذلك ثمرة العمل الإنجازي.

2.3. تعقب مأخذ الهوية عبر حضور المقام المتعالي:

تعتمد الكتابة الروائية في كتاب الأمير قياسا على هذه المقامات على جعل الذات الأميرية تسلك طريقا نوعيا يتضمن شروطا لسلوكه، وهي الرغبة و المعرفة و القدرة و الواجب و كذا الانجاز، أما الرغبة فاتخاذها من أجل أن ترتقي هذه الذات إلى مرتبة التحقق أي الفعل بالكلام، وأما المعرفة فتتمثل في اتخاذ الملفوظ للسبل التي تجعله يتحصل على القدر الكافي منها لمواجهة المخاطبين، إلى جانب ذلك هناك القدرة على إنزال اللغة الذاتية إلى ساحة المحاور و جعلها تحمل سمة الخطاب، أما الشرط الرابع فيتمثل في الواجب الذي يدفع الملفوظ إلى جعل الكلام مناسبا للمقامات المختلفة، وعليه يبقى الشرط الأخير والمتمثل في: "الانجاز الذي يجسد الذات في شكل آثار لغوية و خطابية ملموسة"⁽⁴⁸⁾، ومن ثم هل تحقق للأمير عبد القادر نيل القسط الكافي من هذه الشروط ضمن المسرح الروائي، والذي سُمِّكَنه خلال الرحلة السردية التي قادها الروائي بالقارئ من إظهار الهوية التي عمل الأمير على تكوينها طيلة فترة التعلم و المثابرة؟ إن الإجابة على هذا السؤال لا تتم إلا عبر تسليط قراءة

نوعية على الرواية، تتسم باقتفاء الآثار الكتابية التي تطلعنا على مدى تحقق الشروط الخمسة المذكورة سابقا، قصد معاينة: "انتقال الذات من مرحلة الكمون إلى مرحلة التحقيق"⁽⁴⁹⁾.

ظهر الحضور المتعالي في الرواية على نمطين انطلقا من إثبات القيومية الذاتية، وانطلاقا مما أستخدم عليه بـ: "كون الأكوان"⁽⁵⁰⁾ الذي تسعى شخصية الأمير لتشكيله بمعية السارد مما استدعى كي يضم هذا الكون مطلق مساحة تحقق محادثة الذات من جهة، وكذا محادثة الآخر بمختلف أشكاله من جهة أخرى، وهذا الذي كان يتقصده الاعرج أي تفعيل خطاب الحوار بين الأديان أو بين الهويات المتباينة⁽⁵¹⁾، على أساس أن من منطلقات تشكل الهوية: "أن لا تكون هذه الأخيرة عبارة عن أسوار تفصل الذوات عن الآخرين"⁽⁵²⁾، و من ثم تعمل الهوية: "على تنمية الوعي و القدرة على نقد الآخرين من دون استلاب أو انهيار أو انغلاق عليهم"⁽⁵³⁾، أي بالمحافظة على الكينونة الحقيقية أو الهوية المشار إليها سابقا، إذن هناك إثبات لمضمير الحضور المتعالي، وهناك في الجهة المقابلة إثبات للحضور المتعالي الخارجي، وبين الحضورين يظهر التكامل والانسجام ولنبدأ بالأول :

1.2.3. مضمير الحضور المتعالي

تتمظهر الذات ضمن اللغة بالضمير "أنا" الذي يعبر عن راهنية التخاطب، وبالتالي يظهر الشكل المتعالي من الحضور ضمن أحداث البرامج السردية التي دارت بين الأمير وآله المقربين من جهة، وبينه وبين البقية من الرعية من قادة و من تبعهم على حسب الترتيب التنظيمي لمجتمع الأمير، وقد ظهرت شخصية الأمير من خلال هذا النوع من المقامات متعالية عن الكينونة المتلفظة عن عالم التلفظ المنتمية إليه بمثابة: "وحدة تتعالى على مجموع التجارب المعيشة التي تؤلف بينها، والتي تضمن محايشة الوعي"⁽⁵⁴⁾، والمقصود من التعالي هنا هو: "مجانبة القيم التي وقعت محل اتفاق بين الفاعلين في المجتمع انطلاقا من انعكاس آثارها الايجابية على حياة الإنسان في مجتمعه كالخير والحق"⁽⁵⁵⁾... ولقد كان حظ مقام مضمير الحضور المتعالي من الرواية قويا نظرا للطبيعة التي يتضمنها هذا المقام، والمتميزة باتخاذ الوسائل الممكنة وغير الممكنة في سبيل تحقيق أهداف المتلفظ ومن يتلفظ باسمهم إذ يعتبر التلفظ: "الأثر الذي يكشف عن هوية الذات و عيّناتها الإيديولوجية و الدلالية و القيمة"⁽⁵⁶⁾، وبالتالي يتأرجح تمظهر هذه المسألة على حسب حاجة الروائي في استخدامها من أجل بلوغ الغايات غير المعلنة في السياق السردى للأحداث، و يتعلق الأمر بالمواقف التي شكلت ألغازا في حياة الأمير عبد القادر، وكانت بداية التعالي الموقفي من الإعلان عن إمارة عبد القادر: "على القبائل التي كانت تحت طاعة الوالد الشريف محي الدين"⁽⁵⁷⁾، و عليه سارت هذه الشخصية في عملية التأسيس السلطوي لأجل تحقيق المفارقة الذاتية عن العالم الذي تتلفظ فيه و الجامع لحيزين سرديين: عبد القادر الفارس المحارب ضمن الجيش السلطاني وعبد القادر الذي تقلد مفاتيح الإمارة و التي توسلها لأجل إثبات هوية شعبه و كينونته، بيد أن الشخصية المركزية للرواية أبت إلا أن تتفرد في التآسي بأخلاق الأمراء، وذلك باتباع أسلوب التعالي على الخطاب الواقعي الذي كان سائدا آنذاك والذي يضم منظومة تقاليد الأمراء والملوك، ومن ثم أنتج هذا الأمر ثورته على الراهن انعكست خطابيا في التعليمات التي

أصدرها للعشيرة المقربة في شكل أقوال تحمل في داخلها قوة انجازيه انطلقت من كفاية لغوية راسخة وكذا من أداء أميري متفرد⁽⁵⁸⁾، وقد تجسدت في التطبيق المباشر والفوري لأوامر الأمير الجديد، إذ جعل السارد عنوان هذه التعليمات النداء الأمري الذي يتطلب التطبيق الانزامي نعين صوت الأمير بملفوظه: "ابتداء من اليوم كل شيء سيتغير لسنا في حاجة إلى البذخ لكي نحارب الآخرين"⁽⁵⁹⁾، وأردف بوصيةً شديدة اللهجة للوالد قائلا: "يا أبي وشيخي الكبير، قل لأعمامي أن يقللوا من مظاهر البذخ وأن يرتدوا ألبسة أكثر ملاءمة للمعركة، الغزاة يملكون الآلات التي لا نملك ونملك حيلة أبناء الأرض التي تنقص قوتهم وجبروتهم"⁽⁶⁰⁾، ومن ثم تستند شخصية الأمير في هذا الشأن إلى فرضية أن التعالي يحتم على المتلفظ: "رفض الواقع الخارجي بما في ذلك الواقع الاجتماعي أو التاريخي و الهرب منه أو الانسحاب منه إلى ما يعليه عليه"⁽⁶¹⁾ وبالتالي تحقيق المفارقة⁽⁶²⁾ التي ظهرت في تبديل محمول ثقافة العادات التي سنتها القبائل لمدة طويلة من الزمن قبل أن تتسلم الشخصية المركزية مقاليد القيادة في الحياة السردية. لقد اعاققت هذه العادات السلبية ورود الفهم المنطقي الذاتوي للهوية، وأعاققت حركية التجديد لأن: "المجتمع الذي لا هوية له لا يمكنه أن يبدع، لأنه يستعمل منظار الآخرين في التمييز بين الأشياء بدل استعمال المنظار الخاص به"⁽⁶³⁾ أي الذي يناسب مكونات هويته، ويواصل السارد بمعية الأمير في تشكيل برامج السرد التي كانت نتيجة لتسلمه مسؤولية الإمارة إذ نقرأ ضمن الوقفة الثالثة من السرد منظومة: "سياق إصدار التعليمات"⁽⁶⁴⁾، التي غالبا ما تصدرها الذات صاحبة مقاليد السلطة معبرة عن القيم الايجابية، ومن ثم كلف الأمير مستشاره ضمن هذا البرنامج السردية أن يصدر أمرا بوقف الإغارة على القبائل لأنها كانت تمثل عامل ضعف لا قوة، فصرّح متوسلا اللغة الدارجة مخاطبا أخاه مصطفى: "خلاص كل شيء لأزّم يتغير، هَذَاك العهد اللي كنا فيه ناخذُ مَالِ النَّاسِ بغير حق، رَاحُ.. القبائل صارت مَنَّا، وَمَنْ لَحْمُنَا، وَصَرْنَا مَنَّا، أُخُوَةُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ"⁽⁶⁵⁾، فما كان من الأخ إلا التسليم وعدم المقاومة، لأن الحقيقة هي ما وافقت مقالة الأمير في الرواية، وعليه اختار الكاتب الروائي الألفاظ الدارجة كوسيلة تخاطبية أنيطت بها شخصية الأمير للرد القولي الذي يروم من ورائه إلحاق الأثر البالغ في نفسية السامع، والواضح أن الروائي كان يتغيا من وراء ذلك تبيان حرص الأمير على إصباغ مقصديته بالكثير من الوضوح، فتوسل الألفاظ الدارجة لأن المقام تناسبه هذه الأخيرة أكثر ممّا تناسبه اللغة الفصيحة، ومن ثم أوكل السياق السردية شخصية الأمير خطاب الأوامر كي يكون معمما على بقية الشخصيات التي تشكل مساحة الأنا، وعليه تم سد الطريق الملتوي التي كانت تركز بعض الأصوات السردية، ويستند الأمير في ذلك على المبادئ الايجابية المكرسة سرديا ضمن الرعاية، لأن فضاء الإرادة والقيادة يمثل مقاما نوعيا لا يستطيع المخاطب من خلاله أن يبدي عدم الانجاز، وبخاصة إذا كان الأمر الصادر مجانبيا للصالح العام، وبالتالي نجد ضمن الرواية ورود هذا التسخير عبر الخطاب الدارج المحلي على لسان الأمير على أساس أن: "الشخصية ابنة المقام الذي نشأت وترعرعت فيه"⁽⁶⁶⁾، ويأتي استعمال هذا النمط اللغوي في سياق تحقيق النقل الأمين للموقف بمقتضياته بحيث يستطيع المتلقي للنص السردية أن يتوسل اللغة المستعملة للتعرف على وسم

الغضب الذي طبع نفسية الأمير، والذي ينم عن مضمون انفعالي قوي تَقَصَّد من ورائه الأمير إلحاق التوبيخ⁽⁶⁷⁾ بالمخاور وذلك لأجل إظهار سوء تقديره الأشياء، إذ قد نتج عن ذلك حالة الإحباط النفسي للأخ اثر التعقيب الأميري الحاد، ولو شغل القارئ خياله قليلا لتصوّر في مشهد حيّ المخاطب منكسرا أمام نفسه، وبالتالي نلاحظ أن التبدل الذي يحدثه الروائي في أنماط اللغة ضمن نصه فهو لتحقيق أغراض تداولية قياسا على النقل الحرفي للسياق، وعليه بات النجاح الإنجازي الذي تحقق على المستوى الداخلي مغزيا للنجاح الذي يريد الأمير تحقيقه على المستوى الخارجي على أساس أن التغيير يبدأ من داخل البيت.. وتتواصل المواجهة الأميرية مع بني جلدته ضمن الحياة السردية بمستويات متباينة من حيث الشدة، حيث يظل الأمير في هذه الحالة مبديا سلوكا نابعا من ثقافته الإسلامية العميقة متمثلا في: "المفاصلة الفكرية والشعورية"⁽⁶⁸⁾ عن الذين تذبذبت مواقفهم حتى وصلت إلى حد الترهل البائن إذ تعد هذه المفاصلة شكلا من أشكال التعالي عن الراهن تحت مظلة إثبات وجود هوية متفردة، إذ لا خير في هوية خالية من التفرد.

لقد أبدت شخصية الأمير ضمن محاوره الأسقف ديبوش الموقف الخطير الصادر عن هؤلاء فقال مجيبا عن تساؤل مُحاوره في قصر أمبواز الذي يعتبر المنفى والسجن المفروض على الأمير: "ضع نفسك مكاني، وتأمل المشهد قليلا تضع اليوم خليفة وفي الغد يأتيك الخليفة مدججا بالأسلحة للفتك بك وعليك أن تبحث عن شخص آخر لتعويضه. لقد خاني الخليفة مزاري و قبله خاننا مصطفى بن اسماعيل الذي احتى بكروغلي المَشُور-المشور ثكنة الكروغليين-قبل أن يستقبل الفرنسيين في مداخل تلمسان."⁽⁶⁹⁾، ويصرح الأمير في وقفة مواجه الشقيقين عن ذات الحالة بقوله: "الذين وضعوني على رأسهم تنكروا لي، والذين وضعتهم باعوني، الأكثر من ذلك، هم يكفرونني.. يتهمونني بالتقاعس عن الجهاد"⁽⁷⁰⁾، وكان هذا ردا على إثارة مُحاوره الأسقف ديبوش لقضية ظلم الأقارب.

إن القارئ لنص كتاب الأمير يكتشف التوتر المتصاعد للأحداث كلما تدرجت وتيرة البرامج السردية نحو كثافة النمو عبر استعمال السارد: "للشخصيات النامية المركبة.. المتغيرة الأحوال.. المقبلة على اقتحام التناقضات"⁽⁷¹⁾، ومن ثم ظلت الشخصية المركزية تواجه العقبات التي كانت تعمل على إعاقة السير السردية متوسّلة مُقدّرات الحنكة التي ثقفتها من ضنك ومخاطر تجارب الأسفار مع الوالد حيث منحها القدرة على إيجاد الحلول التي تقرب الحدث إلى الخروج الموفق، وهذا بفضل الإيمان المتجذر في دخيلة الأمير بأهمية تكريس التعالي عن المواقف التي تعيقه لتحقيق الوجود لهوية الأمة العربية الإسلامية التي ينتمي إليها والحاملة: "للسمات الإنسانية المختلفة التي قد تسم جماعات إنسانية أخرى، ولكنها توجد بشكل معين و بترتيب محدد يعطي الهوية العربية فرادتها"⁽⁷²⁾. ضمن نفس الوقفة يُظهر لنا السارد مواطن الانكسار الذي حلت بالأمير نتيجة توقيع ابن عراش سفيره بفرنسا على وثيقة رسمية يتم بموجبها فتح الممر المؤدي إلى قسنطينة، ومفاد هذه الوثيقة هو ملحق اتفاقية التافنة⁽⁷³⁾ المتمثل في فتح المنافذ لحملة بيجو Bugeaud كي يُتم مشاريعه الاحتلالية، وهذا ما نهض الأمير لأجل منعه إذ ظهر ذلك جليا ضمن حوار استبطاني إيعازي⁽⁷⁴⁾ مطول بين القائد وسفيره ابن

عراش تلقى هذا الأخير لوما شديدا على هذا السلوك غير المبرر، والذي أوقع الأمير ذاته في الحرج، فعبر عن ذلك الراوي بلغته الخاصة مستخرجا المونولوج الذي حصل في دخيلة الأمير بقوله: "كان الأمير يعرف أن الثمن سيكون غاليا، وأن الحروب القادمة لن تشبه الحروب الفائتة"⁽⁷⁵⁾، وهكذا بعد أن تصاعد التواتر إلى أشده رجع المبعوث الفرنسي مع ابن دوران⁽⁷⁶⁾ إلى الحاكم ال الحاكم العسكري فالي Vally باتفاق الخلفاء على إعلان الحرب من جديد على الرغم من عدم قبول الأمير لهذا القرار إلا أنه فضل التعالي عن الموقف الذاتي الذي أفسدته نية القادة الفرنسيين في إعادة إشعال نيران الحرب إذ رجح اختياره المخالف لتوجهه: "الأنا ذات الموقع المتعالي عن الأنت"⁽⁷⁷⁾، وبالتالي جاء تصريحه السري لابن دوران ضمن الحوار المشار إليه سابقا بالقول: "يا سي ابن دوران، هل تظن أنني مناصر للحرب؟ أعرف أن الحروب مدمرة وأنا سنذوق المرارة القاسية. الخلفاء عزموا على الحرب، وكل فعل معاكس سيسعى مروقا وخروجا عن الدين"⁽⁷⁸⁾.

2.2.3. الحضور المتعالي الخارجي:

نقصد بالحضور المتعالي الخارجي جملة المواقف التي حبكها السارد مع الطرف الذي يمثل الأخيرة⁽⁷⁹⁾ Altérité في الرواية إذ ينهض هذا المفهوم: "على شبكة من القيم التخيلية التي تستثمر العلاقات غير المتوازنة بين الأطراف المشكلة للنص الأدبي"⁽⁸⁰⁾، ومن ثم دخلت شخصية الأمير ضمن تفاعل سردي مع الأطراف الممثلة للأخيرة الخارجية، ومن بين مقاماتها النوعية مواجهته لأحد القادة الفرنسيين وهو الماريشال بيجو Bugeaut الذي رضح رغم تعنته لإبرام معاهدة التافنة⁽⁸¹⁾ الشهيرة، و نجد لهذا الحدث التاريخي تسجيلا ضمن وقفة منزلة التدوين حيث درات المحاورة بين الطرفين وبرز الأمير بموقف التعالي انتصارا للهوية الوطنية التي كان يأمل في إنقاذها من التشطي، وقد بدا هذا الانتصار من خلال الظهور الندي لشخصية الأمير امام بيجو مطالبا إياه ضمن تفاعل لفظي إنزال محتوى الاتفاق إلى الواقع الفعلي، فيباشر الملفوظ الآتي المشبع بالكفاية التواصلية الموسوعية بالتهجية⁽⁸²⁾: "تفتح -أي ممرات العاصمة- عندما تعيدون إليّ تلمسان"⁽⁸³⁾، ومن ثم تحقق للأمير ما كان يبتغيه من تنظيف هذا الإقليم الهام من الكروغليين الذين أظهروا موقف التماهي مع الآخر المستعمر وذلك بمساندته مما يؤدي عبر الحال الحاصل حالة من الالتباس في الهوية ضمن السياق التاريخي والمقتضى التخيلي، إثر هذا تتواصل مقامات تمظهر الموقف المتعالي من طرف الشخصية المركزية حيث أسبغ الروائي على الأمير دور الوسيط بين: "الذهنية المتعالية و الواقع المعيش"⁽⁸⁴⁾ واللافت للنظر أنه راح يثبت موقفا متعاليا آخر مع ديبوش Dupuch الممثل للنديّة الدينية الحضارية، حيث نطالع ضمن وقفة منزلة الابتلاء مقامية اللقاء التراسلي بين الشخصيتين، إذ طلب الاسقف من الأمير إطلاق سراح ماسو Massot sous-intendant militaire إثر الاستعطاف الذي أبدته زوجته أمامه متوسلة إظهار التخور كي تحقق رغبتها، وكان لها ذلك إذ عبر ديبوش بملفوظ تقصّد من ورائه طمأنة الطرف المخاور المتمثل في المرأة قائلا: "ما سمعته عن هذا الأمير يؤهله لرتبة قائد وليس حراميا..الذين هربوا أو الذين أطلق سراحهم يؤكدون على قوام أخلاقه العالية"⁽⁸⁵⁾، وعليه تلقى الأسقف من الأمير

الرد الكتابي الذي كان خارج فضاء توقعه فكانت النتيجة إصابة الأسقف بالذهول والإعجاب، مما استوجب كي يصفه السارد بقوله: "شعر مونسينيور ديبوش بامتعاض في بطنه كيف غابت عنه تلك الأفكار؟ وعادته الصور القديمة.. رأى سجن قلعة القصبة الذي امتلأ بالسجناء العرب المكدمين"⁽⁸⁶⁾، ومن ثم كان للملفوظ الأميري الأثر الإيجابي الذي تمثل في مراجعة ديبوش لقناعاته ورؤيته للأشياء أو بعبارة أدق إعادة قراءة مرجعية هويته، و من ثم ما كان منه إلا أن باشر في ترجمة الشحنة الخطابية التي حاصرت كل القوى المقاومة داخل نفسيته، فبدأ بأعمال إنجازية فعلية سردها لنا الراوي بقوله: "طلب أثناء صلواته بكنيسة سانت فيليب saint Philippe من كل ذوي البر والإحسان مساعدة السجناء بالألبسة... قبل أن يقنع السلطات العسكرية بضرورة إطلاق سراح السجناء العرب في مضيق موزايا الذي حُدِّدَ كمكان لتبادل الأسرى"⁽⁸⁷⁾، وقد حدث هذا التبادل التاريخي بين الطرفين المتباينين في نمط الهوية الدينية و عبر أسيقة الحياة السردية وفق هذا كله استدى كي يشكله السارد في برنامج حكائي محمل بتقنية الاستباق ضمن بداية زمنية الخطاب الروائي على الرغم من وقوعه كرونولوجيا شهر مايو من سنة 1841م.

لقد بنى الروائي تواترية للحدث نعاينها من خلال إفصاح ديبوش عن مضمر التوترات العصبية و الاعراب عن تشنجه النفسي طيلة سرد الاحداث جراء المنفى الذي وُلد في نفسية الأمير إيقاع الخوف والفقدان بيد أن عبد القادر حوّل هذا الفضاء القاتم/المنفى الى منبر: "لإعادة مجاوزة السائد و التشوف الذهني الى تخطي الضرورة"⁽⁸⁸⁾.. بات المنفى بالنسبة للأمير: "أفقا فارقا لاستبطان الذات"⁽⁸⁹⁾ متوسلا التفاعل الحوارى مع الأسقف الذي صدر عنه هذا الاعتراف: "لو أن كل الفرنسيين عرفوا عبد القادر مثلما أعرفه اليوم، لأنصفوه في أقرب وقت"⁽⁹⁰⁾، ومن ثم اردف بالتصريح عن رغبته في تخليص عبد القادر من محنته فأفصح عن مأمول خطابه: "كم أتمنى أن يمنحني الله قليلا من العمر لأرى الأمير خارج أسوار سجنه"⁽⁹¹⁾، وعليه أبدى إعجابا مفرطا بمواصفات القائد فقال: "كيف يمكن نقل هذا العقل الصافي وهذه الموضوعية إلى الرئيس نابليون"⁽⁹²⁾، ولم يتوقف الامر الى هذا الحد بل راح يقارع بني جلدته لأجل إثبات صدق قضية الأمير، فنقل لنا معظم الشهادات ذات المحمول التاريخي الصادرة عن القادة الفرنسيين في حق عبد القادر، ومنها شهادة النقيب دوسانت ايبوليت le capitaine de saint-Hyppolyte الذي أقر بالمنزلة الروحية التي يتمتع بها الأمير بملفوظ جاء فيه: "الأمير رجل مدهش.. هو في وضعية أخلاقية لا نعرفها في أوروبا.. حلمه ليس الحصول على المجد..."⁽⁹³⁾.

إن البادي الملفت للانتباه هو الحضور المكثف لصوت ديبوش في السرد، انها شخصية تكاد تظفر بكل موضع سردي استراتيجي ضمن الرواية، وكأن شخصية الأمير حملت على عاتقها المركزية الروائية بصفة مجازية فقط أما المركزية الحقيقية فهي موكلة من طرف الروائي لديبوش الذي أدى ضمن تراتيب خطاب للرواية دور المُخْلِص، و عليه فالخطاب الروائي من صنيع المؤلف لذا فهو يثبه مرجعية الأفكار التي اكتملت اقتناعا في ذهنه من اجل تفعيل ثقافة حوارية اديان، واذا تتبعنا مسيرة الأسقف ضمن الأحداث فإننا نلفيه دائما مساندا للأمير، محاولا تخليصه من خزي المنفى وكأن

العملية التي قام بها هذا الأسقف متناصرة بما قام به اليسوع عليه السلام حينما ضحى بنفسه من أجل تخلص البشرية من الآثام على رأي المعتقد المسيحي، وبالتالي يبدو أن الروائي يريد أن يجعل الخطاب متقمصا لمحمول يتماهى فيه المكون التراثي المسيحي براهن الأنا العربية في السرد، الشيء الذي أدى إلى تضيق معتبر لفضاء حرية التداعي التعبيري لمعظم شخصيات الرواية بوصفها منتمة إلى تاريخ معلوم هو امتداد لهويتها العربية الإسلامية، والمعروف أن في إمكان الرواية: "أن تطلعنا عن الشفاهية الداخلية للفواعل، وترصد المراحل الماقبل خطابية التي تمر منها الذات"⁽⁹⁴⁾، وعليه فالتفاعل التناسي interaction intertextuel كان حاضرا بالشكل الذي تحدثت عنه جوليا كريستيفا Julia Kristeva على مستوى المرجعيات التاريخية⁽⁹⁵⁾ والثقافية أي بمعنى أن الروائي ذهب إلى أبعد الحدود في إعادة تشكيل سياق ثقافي من تراكمات خطابات تحاور/تفاعل الأديان المعروفة، بحيث اصبغ على الأسقف معجزة الخلاص التي اتصف بها اليسوع عليه السلام.

أظهرت لنا الرواية أن الأمير القائد قد أدى دوره نزولا عند رغبة الذين أودعوا الثقة فيه موازنا بين الخطاب التاريخي والمحكي التخيلي وأثبت للأسقف أنه المتعالي بموقفه المترجم لهويته، بحيث استطاع برسائلته ذات المضمون الإنجازي الفعال أن يتغلغل إلى دواخل هذا الأسقف محدثا التغيير ضمن رؤاه مستغلا نقاء طباعه التي صوّرها الخيال الروائي، مثل إبداء الشفقة على معاناة أسرى العرب إذ: "رأى سجن القصبة الذي امتلأ بالسجناء العرب المكدمين، رجالا ونساء شبه عراة، تتسلق على صدورهم كائنات صغيرة مثل الدود المرتخي"⁽⁹⁶⁾، إنه موقف مشهدي قاسي على نفسية مثل التي يملكها ديبوش، لأجل ذلك نسمعه متمما في حديث نفسي داخلي قائلا: "كيف يستقيم الكلام بين صرخات وبكاء هذه المئات من الوجوه المنكسرة من النساء والأطفال التي تتدافع نحونا بدون أن تفهم لغتنا"⁽⁹⁷⁾، وعليه فعل التغيير فعلته وبدا الاقتناع الكامل في موقف ديبوش بإعادة النظر في المساجين بوجه عام فرنسيين كانوا أو عربا، وتوصل بعدها إلى حتمية تسخير الجهد لإنقاذ الكل وليس فقط الأسير زوج المرأة الشاكية.

4. الخاتمة:

كثيرة هي المواقف التي أبدى السرد حضورها، وبخاصة شخصية الأمير كونها وسما متعاليا يسير وفق مولج باب الواقع المشرذم الذي كان يحيط بها وبشعبها، ولقد أدت الكفاية اللغوية التي وظفتها الرواية في شكل ملفوظات تناسب المقام الذي استعملت ضمنه إلى إظهار التفوق الأميري في إثبات جدية المشاريع التي تقرر إنجازها على الصعيدين الداخلي والخارجي، لأجل إبراز الذات في شكل قوي وقادر على حمل هوية متميزة، وإذا انعطفنا في تعدد هذه المواقف فسيطول بنا المقام لذلك يتبدى لنا أننا باشرنا بعض المقدرات الخفية لمأخذ الهوية وقد ولجنا إليها عبر هسهسات اللغة الروائية سواء منها المباشرة بقلتها أو التخيلية بكثرتها، والذي لاحظناه أكثر هو تصوير السارد للتحكم الحقيقي من شخصية الأمير في مضمير الخطاب السرد، نظرا للتميز الذي عرفته في الخطاب التاريخي وما تزال تتمتع به وستبقى...تظل معمارية النص الروائي منتمة إلى سياقها الثقافي والاجتماعي مادامت تسير في

باب تناول القضايا ذات الحضور الفعال في ثقافة القارئ، ونحسب ان مأخذ الهوية يحمل هذه السمة، وعلى هذا الأساس فما أجراه الروائي من جهة الأداء الإبداعي أنه انساق صوب طواعية الإرسال الاختياري وفق مقتضى الكتابة السردية للخطاب الروائي، وما عزز مضمون الخطاب في الرواية هو ما اتصفت به شخصية الأمير سلفا من سجيا تاريخية، حيث رصدت لنا الرواية لحظات سردية من فترة الأمير توصف بأنها فريدة التشكل الفني، دسمة المضمون خلفت بصمات ظاهرة على المجتمع الجزائري واسمة إياه بحديثات هويته.

الهوامش:

- (1) ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1/1987، ص157.
- (2) جون جوزيف، اللغة والهوية، عالم المعرفة، تر: عبد النور خرافي، عالم المعرفة، ع342، المجلس الوطني للآداب والفنون واللغات، الكويت، 2007، ص7.
- (3) عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ، سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي، ليبيا، ط1، 2007م، ص37.
- (4) عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ، ص34.
- (5) عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ، ص30.
- (6) أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص281.
- (7) حاتم الورفلي، بول ريكور الهوية والسرد، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2009، ص5.
- (8) حاتم الورفلي، الهوية والسرد، ص5.
- (9) ينظر: شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، عالم المعرفة، المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع355، سبتمبر 2008، ص14.
- (10) ينظر: شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص14.
- (11) عبد الله إبراهيم، السردية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2003م، ص83.
- (12) ينظر: عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص83.
- (13) ينظر: عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص85.
- (14) عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركة الإسلامية، تحرير: سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق سورية، ط1، 2009م، ص146.
- (15) ينظر: عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص72.
- (16) حسن خمري، المتخيل والواقع، منشورات دار الاختلاف، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، الجزائر، ط1، 2005، ص44.
- (17) الوظيفتان الرئيستان للغة هما: التواصل مع الغير، وتمثل الكون لأنفسنا في عقولنا، ينظر: جون جوزيف، اللغة والهوية، ص55.
- (18) ينظر: جون جوزيف، اللغة والهوية، ص36.
- (19) جون جوزيف، اللغة والهوية، ص36.
- (20) ادوار الخراط، في البحث عن هوية الأدب الفرانكفوني، مجلة العربي، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، ع438، ماي 2000، ص79.
- (21) ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص، ص157.
- (22) ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص، ص157.
- (23) جون جوزيف، اللغة والهوية، ص43. كلمة signed بالإنجليزية وبالفرنسية signee أي موقعة وقد أُقْرِ بها.
- (24) عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق-سورية، ط1، 2009م، ص11. للإشارة العلاقات المبينة في المقولة ساقها الكاتب في خلال حديثه عن تحليل بنية التخاطب في ملفوظ الخطاب البياني بيد أن البحث اعتمدها على أنها منهجية سليمة لتحليل نصوص سردية مثل كتاب الأمير.

- (25) فيصل دراج، الرواية التاريخية العربية السياق والشروط، ندوة التاريخ والرواية، مهرجان الدوحة الرابع عشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 2005، ص161.
- (26) لقد أفرد جاك دريدا بحثاً مهماً ضمن الهوية التي مطلقها اللغة، من منطلق أنه يهودي الديانة وجزائري المولد وفرنسي اللغة. ينظر: جاك دريدا، أحادية اللغة، تر: عمر مهيبل، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص12.
- (27) ينظر: عبد السلام أقليمون، الرواية والتاريخ، ص101.
- (28) الرواية، ص169.
- (29) ينظر: شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، 1974، ص300.
- (30) ينظر: عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص13.
- (31) John Searle, sens et expression, trad : Joëlle Proust, éd : minuit, paris, 1979.p16.
- (32) ينظر: عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، ص35.
- (33) حسن خمري، المتخيل والواقع، ص49، الواقع: هو الحيز الذي تنسج فيه مجموعة من العلاقات تحدد هوية المرحلة التاريخية، وتشهد على الوضع الحضاري، نفس الصفحة.
- (34) ينظر: الوقفة الأولى، مرايا الأوهام الضائعة، ضمن الرواية، ص25 وما يليها.
- (35) عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، ص37.
- (36) فيصل دراج، الرواية التاريخية العربية السياق والشروط، ص101.
- (37) ينظر إلياس خوري، التاريخي والإنشائي، مجلة النقد الأدبي، ع 63 شتاء-ربيع 2004، ص286.
- (38) عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق سورية، ط1، 2009م، ص66.
- (39) ينظر طه عبد الرحمان، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص42.
- (40) عبد الواسع الحميري، في آفاق الكلام وتكلم النص، ص41.
- (41) الجرجاني الشريف التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2004، ص266.
- (42) ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط5، 2006، ص1279.
- (43) ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، ص1279.
- (44) ينظر: صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار، دمشق، سورية، ط1، 2010م، ص138.
- (45) ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص63 وما يليها حيث نقرأ المصطلح النقدي: نظرية المقام، و: علي آيت أوشان، النص والسياق الشعري، دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م.
- (46) ينظر: عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، ص64.
- (47) ينظر: محمد الداوي، أسئلة التحليل الروائي، ص16.
- (48) محمد الداوي، أسئلة التحليل الروائي، ص52. في الصفحة جدول تفصيلي للشروط الخمسة المذكورة.
- (49) محمد الداوي، أسئلة التحليل الروائي، ص51، ويجد القارئ في الصفحة المربع الذي يصف المراحل التي تنتقل عبرها الذات من الخمود إلى الفعل.
- (50) عبد الواسع الحميري، في آفاق الكلام وتكلم النص، ص43.
- (51) عبّر عن ذلك واسيني الأعرج ضمن حوار أجرته معه براون حبيب ضمن قناة أبو ظبي في حصة أهل المعرفة، ب تاريخ 12 فبراير 2012.
- (52) عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركة الإسلامية، ص148.
- (53) ن. م. س، ص 148.
- (54) صابر الحباشة، لسانيات الخطاب، دار الحوار، سورية، ط1، 2010، ص137.
- (55) عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، ص223.
- (56) محمد الداوي، أسئلة التحليل الروائي، ص35.

- ⁽⁵⁷⁾ هكذا كان يلقب والد الأمير عبد القادر على أساس رجوع نسبه إلى إدريس الأكبر الذي هاجر من المشرق جراء بطش الخليفة الهادي العباسي وقد لاقى هذا الرجل ترحاب قبائل كثيرة من المغرب وبايعوه على الإمارة وانتشر خبره ونسبه في أمصار المغرب العربي، المسألة مفصلة في: الأميرة بديعة الحسني الجزائري، أصحاب الميمنة إن شاء الله، ص 40 وما يليها.
- ⁽⁵⁸⁾ ينظر: ميشال زكريا، الألسنية والتوليدية والتحويلية، ص 35. والكفاية اللغوية في المؤلف هي: ملكة لا شعورية تجسد العملية الآنية التي يؤديها متكلم اللغة بهدف صياغة جملة، طبقاً لتنظيم لقواعد الضمنية الذي يقرن بين المعاني وبين الأصوات اللغوية.
- ⁽⁵⁹⁾ الرواية، ص 94.
- ⁽⁶⁰⁾ الرواية، ص 96.
- ⁽⁶¹⁾ ينظر: عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحله، ص 224.
- ⁽⁶²⁾ ينظر: حديث مفيد عن المفارقة التي تعني الجمع بين المتناقضات في فضاء تعايشي ضمن كتاب: شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص 23-24-25.
- ⁽⁶³⁾ عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركة، ص 148.
- ⁽⁶⁴⁾ يصنف أوستين هذا النوع من الأقوال الإنجازية ضمن التنفيذيات ويضع قيد الانتماء إلى مؤسسة كشرط في تحقق العمل القول، وقد أخذ عبد القادر القوة الإنجازية لأقواله من مؤسسة الإمارة، ينظر: صابر الجباشة، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 61 وص 65.
- ⁽⁶⁵⁾ الرواية، ص 93.
- ⁽⁶⁶⁾ ميشال زكريا، الألسنية والتوليدية والتحويلية، ص 37.
- ⁽⁶⁷⁾ ينظر: جدول تصنيف الأهواء أو الإنفعالات ضمن كتاب: محمد الداوي، أسئلة التحليل الروائي، ص 31.
- ⁽⁶⁸⁾ لقد استعمل هذا المصطلح سيد قطب ويرتكز على عدم تميع الحدود والفواصل بين ما هو حق وما هو باطل، وإشاعة حالة من الهلامية، التي لا يستطيع الفرد خلالها أن يمسك شيئاً محسوساً بيديه، فيقول عنه، وهو يبصره بعين عقله هذا حق... أو هذا باطل، ينظر: محمد الحضيف، سيد قطب كما قرأته وفهمته، شبكة فلسطين للحوار، كُتب المقال في 21-06-2012، ونُقل إلى البحث في 01-01-2013، www.paldf.net.
- ⁽⁶⁹⁾ الرواية، ص 203. مصطفى بن إسماعيل 1769-1843 خدم الأتراك وحكم قبائل المخزن وسنة 1830 عين آغا قبيلتي الدواير والزماله، حالف الفرنسيين بعد دخولهم الجزائر، رُقي إلى رتبة جنرال سنة 1839 كان خليفة الأمير في تلمسان وتحول إلى عدوه. ينظر الحاشية رقم 1 من: التاريخ العسكري والإداري للأمير، أديب حرب، ص 138.
- ⁽⁷⁰⁾ الرواية، ص 243-244.
- ⁽⁷¹⁾ عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية بحث في تقنية السرد، ص 101.
- ⁽⁷²⁾ عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركة الإسلامية، ص 146.
- ⁽⁷³⁾ 30 مايو 1837 هي المعاهدة التي انعقدت بين الأمير عبد القادر والجنرال توماس روبر بيجو بعد تعرضه لخسائر فادحة بسبب المقاومة الجزائرية، ونصت على أن يعترف الأمير عبد القادر بسيادة الإمبراطورية الفرنسية في أفريقيا. ومقابل ذلك تنازلت فرنسا عن ثلثي الجزائر: إمارة الجزائر Régence d'Alger ولايات وهران، القليعة والمدينة وتلمسان، ونتيجة تلك المعاهدة هو احتفاظ بعدة موانئ، وقد جاء النقص من الملك لوي فيليب الأول في نوفمبر 1837، وأمر باحتلال قسنطينة، الأمر الذي أشعل القتال بين الأمير عبد القادر وفرنسا في 15 أكتوبر 1839، ينظر: الأميرة بديعة الحسني، أصحاب الميمنة، ص 104 وما يليها.
- ⁽⁷⁴⁾ للحوار وظائف عديدة أهمها: تقديم الشخصيات d. Présentatif، وظيفة إيعازية d. injonctif، ووظيفة تصويرية d. illustratif، وأخرى تأويلية d. interpretatif، أخرى استبطانية d. introspectif، ووظيفة تتعلق بالزمن synchronique ينظر: الصادق قيسومة، طرائق تحليل القصة، ص 226.
- ⁽⁷⁵⁾ الرواية، ص 296.
- ⁽⁷⁶⁾ يهودي جزائري يتقن الحديث بالفرنسية لأنه تربى على أرضها، عينه الأمير كوكيل أي قنصل بالجزائر بعد معاهدة دوميشال وظهر دوره جلياً بين سنتي 1834 و 1837، وقد ساهم في تحضير معاهدة التافنة، وقد نال من فرنسا مكافئة مالية قدرها ستون ألف فرنك فرنسي جزاء ما قدم، ونال من الأمير الخطوة التجارية وبالتالي أدت هذه الشخصية دوراً بوجهين متناقضين، وتوفي سنة 1839، ينظر: Hani Abdelkader, Correspondances de l'émir a. e. k 1833-1888, éd dar el Gharb, pp179-179.

- (77) ينظر: صابر الجباشة، لسانيات الخطاب، ص138.
- (78) الرواية، ص299.
- (79) هناك من يستعمل الغيرية نسبة إلى الغير كما أن هناك من يستعمل الآخري والمقصود بها الأطراف التي تمثل الاختلاف عن الذات في مجالات مختلفة كالدين واللغة والتاريخ، ينظر: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الحديثة، القاهرة، ط2، 1971، ص157.
- (80) شرف الدين مجدولين، الفتنة والآخر، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2012، ص28.
- (81) ينظر: التفاصيل التاريخية لمعاهدة التافنة ضمن: أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري، ص254 وما يليها.
- (82) ينظر: أنماط الكفايات الأربع في حسن بدوح، المحاوره مقارنة تداولية، عالم الكتب، اربد، الأردن، 2012، ص124.
- (83) الرواية، ص 215. لأن من ضمن بنود الاتفاقية فتح ممرات العاصمة مقابل إعادة تلمسان للأمير، ينظر في هذا الشأن: أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري، ج1، ص318.
- (84) فتنة الآخر، شرف الدين ماجدولين، مرجع سابق، ص188.
- (85) الرواية، ص 54. ملخص الحادثة أن امرأة تزجت أسقف لكي يطلب من الأمير أن يطلق سراح زوجها فما كان من الأمير إلا أن رد عليه بخطاب أصيب القس على إثره بالذهول، حيث طالبه بالحديث عن كل المساجين بدون استثناء وكذا أردف الحديث عن المساجين العرب المضطهدين، ينظر الرواية الصفحات: 54 حتى 58.
- (86) الرواية، ص56.
- (87) الرواية، ص 57.
- (88) الفتنة والآخر، شرف الدين ماجدولين، ص 197.
- (89) الفتنة والآخر، شرف الدين ماجدولين، ص 197.
- (90) الرواية، ص21.
- (91) الرواية، ص41.
- (92) الرواية، ص209.
- (93) الرواية، ص150.
- (94) محمد الداوي، أسئلة التحليل الروائي، ص60.
- (95) ينظر: احمد الزعبي، التناص نظريا تطبيقيا، عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2000م، ص29.
- (96) الرواية، ص 56.
- (97) الرواية، ص 56.

5-المصادر والمراجع:

- النص الروائي هو: كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، واسيني الأعرج، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2/2008.
1. ادوار الخراط، في البحث عن هوية الأدب الفرانكفوني، مجلة العربي، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، ع438، ماي 2000.
 2. أديب حرب التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1983.
 3. إلياس خوري، التاريخي والإنشائي، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 63 شتاء-ربيع 2004.
 4. أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001.
 5. برسوم حنا، معجم الكتاب المقدس، كتاب الكتروني من موقع الدراسات القبطية، بيروت، لبنان، www.knowingllah.com
 6. جاك دريدا، أحادية اللغة، تر: عمر مهيبيل، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1/1429هـ-2008م.
 7. الجرجاني الشريف التعريفات، تح محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2004، ص266.
 8. جون جوزيف، اللغة والهوية، عالم المعرفة، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، ع342، المجلس الوطني للآداب والفنون واللغات، الكويت، 2007.

9. حاتم الورفلي، بول ريكور، الهوية والسرد، التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 2009.
10. حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، اريد الأردن، ط1، 2011م.
11. حسن خمري، المتخيل والواقع، منشورات دار الاختلاف، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، الجزائر، ط1، 2005.
12. حسن بدوح، المحاوره مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، ط1، 2012.
13. الشاذلي عبد السلام، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1985.
14. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، 1974.
15. شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، عالم المعرفة، المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع355، سبتمبر 2008.
16. شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر-انساق الغيرية في السرد العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2012.
17. صابر الحباشة، التداولية من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار، دمشق، سورية، ط1، 2001م.
18. صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار، دمشق، سورية، ط1، 2010م.
19. صالح عباد، الجزائر أثناء الحكم التركي 1514-1830، صالح عباد، ط2، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
20. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1/1998.
21. عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ، سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي، ليبيا، ط1/2010.
22. عبد الله إبراهيم، السردية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2003م.
23. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط5، 2006م.
24. عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركة الإسلامية، تحرير: سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق سورية، ط1، 2009م.
25. علي آيت أوشان، النص والسياق الشعري، دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م.
26. عبد الواسع الحميري ما الخطاب وكيف نحله، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق-سورية، ط1، 2009م.
27. محمد الداوي، أسئلة التحليل الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1427هـ.
28. محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1987.
29. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الحديثة، القاهرة، مصر، ط2، 1971.
30. John Searle, sens et expression, tra : Joëlle Proust, éd : minuit, paris, 1979.